العودة الى كنت والهروب من هيغل: أبعاد وآفاق الفلسفة بعد موت هيغل

نوزاد جمال حمەفرج

وزارة التعليم والبحث العلمي، معهد الدراسات الاستراتيجية و البحوث العلمية، قسم الدراسات/فرع العلوم الإجتماعية، السليمانية، العراق

المستخلص

بعد موت هيغل، تأثرت 'الفلسفة المثالية' بتحولات وأسئلة جديدة طرأت بسبب التطور في العلوم. وكان أحد الأسباب التي تحدى الفلاسفة هو مواقفهم تجاه العلم. ومن هنا ظهرت دعوة العودة الى 'كنت'. لكن اذا سألنا هنا: ماذا تعني العودة الى 'كنت'؟ هل أصبح قديما أو منسيا بعد موته ولاسيما بعد هيمنة هيغل على الحيز الفلسفي؟ أو أن فلسفته كانت وماتزال من الركائز الفلسفية ليس ضمن نطاق الفلسفة الألمانية وحدها فقط، انما ضمن الفلسفة الحديثة برمتها. لذا يناقش البحث، أبعاد العودة الى فلسفة 'كنت' وظهورها الجديد الذي فتح آفاقا جديدة في تأريخ الفلسفة. لقد كان 'كنت' مؤثرا وملهما لكثير من الفلاسفة اللاحقين مثل هيغل ومن بعده. علما، بأن أحدى مدلولات العودة، تعني أن 'كنت' كان مرجعا لايستغنى عنه. أما المدلول الآخر، تدل على أنه لا يتجاوز. أي لايسبق عليه- بسهولة ولايصبح قديما بطريقة ما. وفي المقابل هناك دعوة للعودة الى هيغل في سياقات ومراحل مختلفة أيضا. لذا، فخطاب العودة لايخص 'كنت' وحده، أنما هناك دوافع 'موضوعية' و'ذاتية' يحفز الباحثين للعودة اليها. فاحدى الدافع، مثلا موقف كلا الفيلسوفين تجاه العلم وتبني النظرة العلمية في التفكير الفلسفي.

الكلمات المفتاحية: العودة، الهروب، كنت، هيغل، آفاق الفلسفة.

1. المقدمة

النقاش الذي ساد في أواخر القرن العشرين والسنوات الأخيرة في هذا العصر، بين مؤيدي فلسفة 'كنت' و هيغل ركز على سؤال: هو هل الأول أو الأخير جدير بالأهتمام؟من الباحثين الذين أثاروا هذا السؤل 'روبرت ستيرن' في مقالة له (Stern, 1999). لكن، هذا الأهتمام بكلا الفيلسوفين ليس بجديد، اذ بعد موت هيغل (1831) واجهت الفلسفة كمجال معرفي تحديا كبيرا أمام المعضلات الحضارية والثقافية والسياسية. في حين وصل التقدم العلمي الى شتى مجالات الحياة و أصبح التفكير العلمي بديلا للمعارف المألوفة، و وقعت الفلسفة أيضا تحت التأثيرات الطارئة و أسئلة محرجة من قبل العلوم الطبيعية.

فالتحديات التي واجهت الفلسفة برمتها، والتي تعرف بانهيار الفلسفة المثالية الألمانية، أدخلت الفلسفة ظرفا مختلفا. حيث اضطرتها إما الى المواجهة والمقاومة من خلال الرجوع الى فلسفة 'كنت' والهروب من رواسب فلسفة هيغل التي كانت تمثل الصرح العلني للفلسفة المثالية. أو إخلاء الساحة كليا للعلوم. ويشكل موت هيغل حدثا تأريخيا وفلسفيا في آن واحد. لأن هيمنته على الفلسفة الألمانية، بعد موته آوت الى الأفول. ولم يعد تقاوم الأسئلة الشائكة والمصيرية التي أحدثها عصر العلم.

في حين يبدأ التأثير بوفاة هيجل، كحدث تأريخي له معنى رمزي لتأريخ الفلسفة في نفس الوقت: اذ فقدت المثالية الألمانية مكانتها الروحية الرائدة في ألمانيا (Hems, 2015, p. 318-9) لقد، قام البعض بمواجهة هذا الحدث والخروج من المحنة- الأزمة- هذه، من خلال الرجوع الى فلسفة 'كنت'. لأنهم وجدوا فيها خارطة ترشدهم طريق الخروج وسبيل الخروج يستلزم مايلي :

1. اتخاذ موقف نقدي تجاه الميتافيزيک. لأن الميتافيزيک السائد كان موضع نقاش ومشكلات بين الفلاسفة أنفسهم وفهم'كنت' مثلا. فالميتافيزيک كان أحد الأسباب المؤدية لأنشغال الفلاسفة بأمور غير مجدية والتخلف عن ركب التقدم.
2. وبيان ما دور نظرية المعرفة هنا وماعلاقتهابالعلم ؟
3. كون'المنطق' و'الرياضيات' و'المنهج' مواضيع رئيسية في الفلسفة لابد الأشتغال عليها من خلال الجواب على سئوالين هما: هل مصدر المنطق

مجلة جامعة جيهان- اربيل للعلوم الانسانية والاجتماعية
المجلد 6، العدد 2 (2022) .
أُستلم البحث في 2 أذار 2022؛ قُبل في 5 حزيران 2022
ورقة بحث منتظمة: نُشرت في 1 تموز 2022
البريد الإلكتروني للمؤلف : nawzad.hamafaraj@kissr.edu.krd
حقوق الطبع والنشر © 2022 نوزاد جمال حمەفرج. هذه مقالة الوصول اليها مفتوح موزعة تحت رخصة المشاع الإبداعي النسبية - CC BY-NC-ND 4.0

الرياضيات أو علم النفس؟ هل يمكن اعتبار 'المنطق' منهجا للبحث العلمي؟ من هذا المنطلق، ساهم كل من 'هيرمان كوهن'، 'باول ناتورب'، 'كاسيرر' و كارناب و ريشنباخ' في مناقشة هذه الأسئلة (عەزيز، 2019).

من هنا تتبين، أن السؤال الأساسي هنا: لماذا العودة الى 'كنت' وبأي معنى؟ فهل هناك مخرج للفلسفة من خلال ذلك أو ليس إلا طموح 'نوستالوجي' للماضي فقط؟ وهل يمكن من خلالها، ايجاد مخرج للأزمات التي لحقت بالفلسفة؟ من خلال هذه الأسئلة، يحاول البحث تقديم طرح وقراءة جديدة لكيفية العودة الى 'كنت' والهروب من فلسفة هيغل. والمنهج الذي يستند اليه الباحث عبارة عن تحليل المضمون وتفسير الأحداث التأريخية في عدة أقسام. القسم الأول؛ واقع الفلسفة في آواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين وشرح الملابسات والعوامل التي أدت الى بروز نجم 'كنت' من جديد. القسم الثاني، يركز على التأثيرات الطارئة على العلم وفي مجال الفكر والحياة. لأن، آفاق بقاء الفلسفة تجاه التغيرات والتطورات الحديثة ومقاومتها مرهونة بتجديد نفسها ازاء التطورات التي طرأت على مجال العلوم التطبيقية البحتة. لذا يركز هذا القسم على موقع 'كنت' وموقفه تجاه النزعة العلمية في عصره. أما القسم الثالث؛ يناقش أهم أفكار 'الكنتية الجديدة' في العودة الراديكالية-الجذرية الى 'كنت'. والقسم الرابع، هو العلم و دوره في ضمان ودور كلا الفيلسوفين وبقائه.

لذا، يحاول البحث شرح وتحليل أبعاد الرجوع الى فلسفة كنت وظهور 'الكنتية الجديدة' من خلال الجواب على الأسئلة الرئيسة وبتحليل الظروف التأريخية لهذه الحركة وبوادر الرجوع الى كنت جدير بالملاحظة. فالبحث، لايناقش 'العلم' من الناحية العلمية، انما يناقش فكرة العلم في الفلسفة ولاسيما لدى كل من كانت وهيغل. ويحاول ان يسأل هل كان فلسفتهم نحو العلم ام ماهو مكانة العلم في فلسفتهم؟

2. كنت وهيغل ما بين العلم و الفلسفة

بدون الوقوع في آراء ارتجالية وخطابية، أفضل طريقة لأثبات آفاق الفلسفة في زمن هيمنة العلم على التفكيرو الفلسفة في الأخص، هو ابراز دور ومساهمة كلا الفيلسوفين في التفكير العلمي و الأهتمام بالعلوم في نصوصهم. لذا نقوم بخطوات اثبات هذا الأهتمام. لذا، لابد ان نعرف موقفها من العلوم. مايزال هناك نوع من الأتفاق على أن 'كنت' من الفلاسفة الذين اهتموا بالعلم في كتاباته، ولم يرفض المذهب التجريبي كليا. بل دمج المثالية والتجريبية في نظرية المعرفة. وعلى نقيض ذلك، انتقد هيغل التجريبية الى حد رفضها تماما. ولما كانت العلوم المتطورة في العصر الحديث تتسم بالتجريبية، فقد تكون هذا بالدرجة الأولى، مؤشرا الى لا-علمية فلسفة هيغل. مع أن هناك من يؤكد العكس. لكن الى أي مدى هذا صحيح؟

ربما نعثر على كلمات تشير الى اهتمام هيغل بالعلم، غير أن المقصود ليس مايفهم تحت اسم العلم كما هو سائد. اذن؛ هل مفهوم هيغل للعلم له نفس الدلالة كما هو مستخدم لدى العلماء؟ وهل تكفي كلمة'علم الفلسفة' أو علم المنطق في كتاباته، بأن هذا الفيلسوف أو ذاك كان يهتم بالعلم؟ اذن، مالعلم عند الفلاسفة مثل كنت و هيغل أصلا؟

ان طرح هذا السؤال مطلوب، لأنه يعكس النقاشات بين الذن يدعون للعودة الى 'هيغل' أو 'كنت'. رغم أن نداء العودة الى 'كنت' متمثل في التحديات التي واجهت الفلسفة بعد موت هيغل ونوع الهروب والنجاة من طوق فلسفة هيغل السائدة. إلا أن موقف 'كنت' كان اقرب من العلوم في عصره. وهذا يضعه في حيز تأريخ العلم. بعكس هيغل الذي استخدم مفردة 'العلم' بمعنى ضيق وخارج التعريف السائد. من هنا نرى ان العلم أو المنهجية العلمية أصبحت معيارا لحداثة الفلسفة كما يؤكد 'ريجاردسن'. لذا من حقنا أن نتساءل؛ هل العلم يقرر بقاء وحيوية افكار فيلسوف ما؟

بدون مبالغة، هذا السؤال وضع موقع الفلسفة قبل قرن على مفترق الطريق: وهو مواكبة السير العلمي أو النهاية؟ لذا، ماذا نعني بالعلم في هذا السياق وهل العلم ومناهجه معيارا لتحديد مصير الفلسفة؟ لقد انتقد مثلا الماركسيون أيضا'الفلسفة المثالية' لكونها تجانب المنهج العلمي. لكن، العلم حسب التعريف الماركسي و بناء على المعيار الأيدولوجى لايعد معيارا علميا في ذاته. الماركسية كأيدولوجية، أعادت تعريف العلم والعلموية- حسب معطياتها وثوابتها الأيدولوجية.

وفي المقابل، فان دور 'كنت' تجاه العلوم واضح العالم، فقد تعتقد الباحثة 'كاترينا ديليغيورغى' في بحثها'علاقة الفلسفة بالعلوم الطبيعية و"المثالية الطبيعانية Idealist) (Naturalism)، أن فلسفة هيغل تتمة لمثالية 'كنت' وهذا من خلال التعاطي مع مفهوم العلم والفكر والطبيعة. وتعتقد أن هيغل يشارك 'كنت' في الأهتمام باستقلالية الفلسفة وعلاقتها مع العلوم الطبيعية(Deligiorgi, 2019) . وفي الدفاع عن الجانب التطبيقي والعملي لفلسفة 'كنت' ترى الباحثة 'سالي سيدويک' أن فلسفته العملية)practical (تتسم بمحتوى 'عملي' خلافا للنظرة السائدة بأن فلسفته شكلية (formalism) المعالم وخالية عن أي محتوى محدد (Sedgwick, 2010). ولاسيما، الذين ينتقدون 'كنت' من منظور فلسفة هيغل. لأن الأخير، ضم العقل-الروح الى التأريخ ونظر اليه من خلال تطوره التأريخي المتجسد في الواقع وليس مجرد مفهوم عقلي شكلي.

واذا نظرنا، نظرة دقيقة في كتاب 'كنت' 'تأسيس ميتافيزيک الأخلاق' نجد أنه حيث أسس كنت محتواه العملي على مبدأين: أحدهما؛ الأعتماد على الأنتروبولوجيا الأخلاقية وجذور الميول والدوافع الخلقية في طبيعة الأنسان (Sedgwick, 2010). والآخر، الاهتمام بطبيعة العقل من منظار انتروبولوجي وطبيعي. لكن علاقة العقل بالتأريخ كما يراه مفسرو هيغل، أهمل طبيعة العقل. فتأثير فلسفة 'كنت' على أنشتاين واضح، عندما طرح انشتاين سؤالا في الفيزياء: كيف تظهر حركة الذرة لعين الناظر الباحث المتحرک؟ فمنبعه الأصلي هو سؤال 'كنت' المعرفي المعروف' في هذا المجال (Kim, 2020). فأنشتاين بدأ 'كنتيا' وأصبح 'هيغليا' عندما دمج الأثنين معا في المجال النظري.

وعلى نقيض من هذا، يرى الباحث في تأريخ العلم 'أغاسي' أن هيغل لم يساهم في فلسفة الطبيعة، لذا تقع فلسفته خارج نطاق العلم (Agassi, 2008, 257). يرى الباحث 'ريجاردسن' في بحثه عن 'الفلسفة العلمية' أن هيغل لم يأخذ العلوم التجريبية بجد (Richardson, 1997). لذا لايعد هيغل فيلسوفا نموذجيا ضمن الفلاسفة الحديثة. ردا على هذه الآراء الواردة بصدد هيغل وهو أن هناک سؤ تفاهم وعدم دقة في قراءة نصوصه. لأن، هيغل في مرحلة 'النضوج الفلسفي' وليس البداية أهتم بالعلم. وفق ماذهب اليه 'ريجاردسن' بأن فلسفة هيغل لاتدخل ضمن تعريف "الفلسفة العلمية" من الناحية المنهجية والأطروحات 'مابعد الفلسفية meta philosophical التي كانت متداولة فيما 1860-1930 (Richardson, 1997).

وهناک حقيقة أخرى وهي أن الأهتمام بالعلم، لم يكن ضمن الأسئلة الفلسفية بالدرجة الأولى أصلا (Nabolsy, 2020). وهناک من يعتقد أن هيغل خلافا ل'كنت' اتبع مفهوما لافردية(anti-individualistic) لممارسة الفلسفة واهتم بالتأريخ (Nabolsy,

(2020. أي ان هيغل أعتبر بأن الفلسفة عبارة عن تواصل مابين تأريخ تطوروالتجسد الفعلي للروح/العقل ضمن التأريخ البشري. لكن، من يدافع عن موقف هيغل تجاه العلم، يرون أن لكونه استخدم الفلسفة/ المنطق كعلم. لكن، هل مصطلح 'العلم' في السياق الهيغلي يدل عل العلم بالمعنى المتداول في العلوم البحتة التجريبية؟ وهل ساهم بشكل مباشر في العلوم التجريبية؟

اذن، لابد من تحديد معنى العلم ومفهومه. فمثلا، 'العلمية' كانت شعار الماركسية ونقدها اللاذع للمثالية. فسمت نظرتها بالمادية العلمية. لكن، بأي معيار و كيف نحدد معيار العلمية كوصف لعمل فلسفي عند 'كنت' أو 'هيغل' اصلا؟ فهل استخدام اللغة وكيفيتها يندرجان تحت 'العلم'؟ وهل الموضوع هو الذي يحدد مجال العلم؟ أوأداة البحث و التجربة؟

2.1 العودة الى 'كنت' بعد موت هيغل

لاشك ان تأثير كل من كنت و هيغل يفهم من خلال السياق التأريخي وأن تأثيرها ليس بثابت. وفي عصر ما، كان هيغل مؤثرا رئيسيا في الحقل الفلسفي، وظهر نجم كنت و آل نجم هيغل الى الزوال تارة وكذلك العكس. وعندما ظهرت هيمنة هيغل، انزحت صورة 'كنت' عن الساحة في الفلسفة الألمانية. ولكن، لم يدم هذا التأثير والظهور ولاسيما بعد موته. ونظرا للتحولات الثقافية والتطور العلمي، واجه الفلسفة مأزقا حول مكانتها واهميتها. فالتساؤلات العلمية تجاه دورها وأهمية الفلسفة المثالية اضطرت الفلسفة ان تأخذ خيارا: اما المواكبة مع التطورات العلمية وتحديث بنيتها، أو اختيار "الموت-الأنهيار" بنفسها. لأن موقعها أمام الأستكاشافات العلمية، كانت تحت المسائلة والنقد الجذري.

من هنا، فأن محاولة انقاذ الفلسفة من المفاهيم المطلقة والمجردة الخارجة عن الابعاد العلمية، تتطلب اعادة النظر في أسسها ومناهجها في الوقت نفسه. لذا، بعد موت هيغل ظهر نوع من الضرورة للعودة الى 'كنت'. واذا كانت العودة لم تعن حرفيا أفول هيغل بتاتا من المنظر الفلسفي، فأنها تعني أزمة الفلسفة ولاسيما الفلسفة المثالية الألمانية. وأصبح نقد الفلسفة من الضرورات الواجبة، استجابة للتطورات العلمية الحاصلة. لذا لم تكن العودة الى 'كنت' رجوعا تقليديا يكتفي بغربلة الأطروحات للفلسفة المثالية السائدة فقط. بل كانت محاولة جديدة لتكييف فلسفته مع التطورات الجارية في المجال العلمي. بتعبير آخر، لكي يبقى 'كنت' ولابد من ابقائه والأستفادة من جوانب فلسفته التي لها علاقة بالعلم والمعرفة. فالعودة، لاتعني بالضرورة إعادة فلسفة حرفيا. إنما تعني انقاذه بعد نقد وتقييم جديد. ولابد من الأشارة الى حقيقة أن شعار 'العودة الى كنت' في الأصل كان من إبداع (Otto Liebmann) واعتبر ان الفهم الصحيح ل'كنت' يعني تجاوزه' (Hems, 2015, p. 320). وفي المقابل كان هناك دعوة الى الهروب من هيغل حسب تعبير مشهور ل'ميشل فوكو' الذي استخدمه فى احدى محاضراته في السبعينات.

2.2 غياب هيغل عن المسرح الفلسفي

في تأريخ الفلسفة الحديثة، تبدأ أفول هيغل والمثالية الألمانية بانتقادات فيورباخ أصلا. ونظرا لأن تأثير فلسفة هيغل مابين (1840-1830) تبدأ من المدرسة الهيغلية وتصل ذروتها أيضا (ديب، 1994، ص 1-20). ولكن، لاينبغي غض النظر عن حقيقة أخرى هي أن مؤشرات العودة الى 'كنت' تبدأ من هناك أيضا. وبعد ذلك النقد الذي وجهه رواد 'الفلسفة المادية' في ألمانيا الى المثالية، أخلت المثالية الساحة. لكن، اخلاء الساحة لم يؤثر على الذهن المثالي فقط، انما أثر في الفلسفة برمتها أيضا. ومن هنا إدعى أصحاب الفلسفة المادية والماركسية إفلاس الفلسفة كليا (عەزيز، 2009، 206). لكن إفلاس الفلسفة الألمانية تبدأ وتنتهي بهيغل. بتعبير آخر، فكل إحياء وتجديد الفلسفة، هو إهمال فلسفة هيغل والعودة الجديدة الى فلسفة'كنت'. لكن، العودة تنصب على جانبين:

الكنتية الجديدة: التي قبلت الجذور والخطوط الرئيسية ل'كنت' وحاولت في الوقت نفسه إزاحة الغطاء الميتافيزيكى عنه، ولاسيما عن مفهوم الشيء في- ذاته (نومينا).

مذهب الفلسفة التجريبية التحليلية الذي يمتد من المذهب التحليلي الأكسفورد الأنكليزي الى التجريبية في برلين وحلقة فيينا.

ونرى مثلا أن كلا من 'فيتغنشتاين' و'رايخنباخ' حددا وظيفة الفلسفة في عصر العلوم. فالأول، يعتقد أن 'هدف الفلسة هو التوضيح المنطقي للأفكار. لأن خلاصة الجهد الفلسفي وهدفه 'عبارة عن التوضيح المنطق للأفكار' (Wittgenstein, 1998, p. 53). وفي الوقت نفسه يرى فيتغنشتاين أن دور الفلسفة تجاه العلم هو 'تحديد الحدود المتنازعة للعلوم الطبيعية' (Wittgenstein, 1998, p. 55). كما رأى رايخنباخ؛ 'أن مهمة العلم هي تفسير الكون، لكن الفلسفة تهتم بتحليل النتائج التي وصل اليها العلم. فالبحث العلمي يعد الحجر الأساسي لنظرية المعرفة' (عەزيز، ٢٠٠٩، ص ٢٠٦). اذن، من خلال هذا التحول في البحث الفلسفي، نزعت المهة الأولى والأصيلة للفلسفة التي كانت تأسيس نظام ومذهب ميتافيزيكي يعرض صورة كلية عن الحياة والعالم أو تغيير المحيط المباشر للأنسان. إذن، أصبحت مهمة الفلسفة تحليل وتوضيح المعاني والمفاهيم والتركيز على المعرفة التجريبية (عەزيز، ٢٠٠٩، ٢١٠). لذا، أن الأوضاع الموضوعية خاصة، دفعت فلسفة حلقة فينا في (١٩٢٩) الى اعلان مانفيستو-خطاب- تحت اسم "الفهم العلمي للعالم". لكن العوامل التي دفعت هذه الحلقة الى تبني هذا التوجه هي:

1. ان موت هيغل عام (١٨٣١) يعد بداية لسقوط الفلسفة المثالية الألمانية وإنهيارها. من هذا المنطلق، إتبع بعض علماء الطبيعة وجهة مادية صرفة للمعرفة العلمية وأعلنوا أن الكتب التي طبعت في الفلسفة-ميتافيزيك- لاتساوي قيمة الحبر الذي استعمل في طباعتها (عەزيز، ٢٠٠٩، ص ٢١٦).
2. الأتجاه الذي نادى بإنقاذ الفلسفة من خلال إعادة الفلسفة الى مسارها الصحيح: وهذا من خلال ترك الفلسفة المثالية جانبا. ومن خلال الأستفادة من الأخطاء السابقة أيضا. من هنا عادت الى الفلسفة أنفاسها!
3. قام 'هيرمان فون هيلمهولس'(١٨٢١-١٨٩٤) في بحث نشره عام (١٨٥٥) بوضع بوادر وأسس نهوض الفلسفة تحت عنوان "كيف يرى الأنسان الأشياء". في هذا البحث، دعا الى الأستعانة بفلسفة 'كنت' والعودة إليها. حسب رأيه، أن الفلسفة لم تنهار ولم تفشل في رسالتها، إنما الفشل يسجل على مذهب المثالية الهيجيلية فقط. لذا ولى زمن الفلسفة الهيجيلية وإنتهت صلاحيتها. لذا، الباحثون في الفلسفة يمكنهم الإستناد الى فلسفة كنت فقط (عەزيز، ٢٠١٩، ص ١٠٦).
4. ان دعوة العودة الى 'كنت' ناتجة أيضا عن كون فلسفته لم تبتعد عن العلوم. ولم يكن في عصره أي تناقض وصراع بين الفلسفة والعلوم. لذا،

يمكن الأستفادة من فلسفته من جديد (عەزيز، ٢٠٠٩، ص ٢١٩).

5. بعد ذلک، كان لكتاب 'اوتو ليبمان' المعنون "كنت ومقلديه" في (١٨٦٥)، تأثيرا لنهوض الفلسفة وإحيائها (عەزيز، ٢٠٠٩، ص ٢١٩).

اذن، هذه العوامل المؤثرة، دفع بالبحث الفلسفي نحو العلم وذلک من خلال العودة الى فلسفة 'كنت' والتعاطي معها كفلسفة تساير عصر العلوم.

2.3 الألتفاتة الى 'كنت' أو العودة اليه؟

في بحثه عن ال'كنتية' يسأل الباحث المشهور 'مانفريد كوهن': هل تجب العودة أو الألتفات الى 'كنت'؟ لأن العودة الحرفية اليه ليست مطلوبة. ولأن دعوة العودة الى كنت كانت ردة فعل تجاه الدعوة الى 'تجاوز كنت' في أواخر القرن الثامن العشر وكان على رأس القائمة الداعين الى ذلک هو 'فيخته'. علما، أن 'أوتو ليبمان' كان من أوائل الداعين الى ضرورة العودة الى 'كنت' (Kuhn, 2010). يجب القول، ان العودة، لاتعني العودة الى ال'كنت التأريخي' كما كان. أي اعادة وتكرار فلسفته حرفيا. وعندئذ، لابد من الفرق بين العودة والألتفاتة الى كنت (Kuhn, 2010).

من خلال هذا، يمكن ان نسأل أنفسنا: هل نجح الكنتية الجديدة في تفسير صحيح ل'كنت'؟ هل كانوا أوفياء لنصوصه؟ الجواب لا. وهل نجاحهم يشترط منهم تطبيق مناهج 'الكنتية الجديدة' ومبادئه وتطوير النقاش الفلسفي في عصرهم؟ الجواب على هذا، هو بالنعم. لأنهم حاولوا تفسير 'كنت' إستجابة لعصرهم وحسب نواياهم وليس لذا، وفق ما أراده 'كنت' (Kuhn, 2010). وحسب رأي 'هايدغر'، أنهم أخطأوا في إنشاء 'كنت' وحذف مسألة الأدراک الحسي فيه (Kuhn, 2010).

جدير بالأشارة هنا، يوجد إتجاهين لتفسير 'كنت' والألتفاتة اليه. الأول؛ هو قراءة لغوية دقيقة التي تفسير حسب السياق النصي والذي يأخذ الموقع التأريخي بجدية والثاني؛ قراءة نص 'كنت' وإعادة بنائه وشرحه من خلال المشاكل الذي يواجه المفسر (Kuhn, 2010). وهذا مافعلته 'الكنتية الجديدة'. اذن، ليس العودة الى 'كنت'، ا الألتفاتة اليه. ولأن 'كنت' "بلاشک من أهم فلاسفة القرن الثامن العشر، كان هناک قول مأثور؛ 'لايمكن لأحد ان يتفلسف دون أن يكون مع 'كنت' أو ضده. وفي الأغلب، لايمكن ان يتفلسف دونه صحيحا وأبدا (Kuhn, 2010).

السؤال الجوهري الآخر هو: أي جانب من فلسفة 'كنت' تكون بنية مساعدة للنهوض بالفلسفة وإحيائها؟ (عەزيز، ٢٠٠٩، ص ٢١٩). يجاوب الباحث 'حميد عزيز: "أن جذور التجديد والعودة الى كنت، يرجع الى العامل الذاتي داخل فلسفته" (عەزيز، ٢٠١٩، ص ١٠٦). بتعبير آخر، ان عامل التجديد والعودة يقع في العامل الداخلي الذاتي لفلسفة 'كنت' نفسه وليس العوامل الخارجية. فالعوامل الخارجية والموضوعية، تعد عوامل مساعدة وليست الجذرية للأهتمام أو الألتفات وحتى العودة اليها. وكل ما يسجل لفلسفة 'كنت' هو البنية الداخلية القابلة للتجدد والبقاء في فلسفته. ولولا هذا، لكانت العودة تعد عملية سطحية وعابرة.

لذا العامل الداخلي هو الذي شجع فلاسفة 'حلقة فينا' للإدراک بأهمية فلسفة 'كنت' من خلال العودة اليها. وأمكنهم من الأستفادة من منجزات المنطق الرياضي لتطوير العلم أكثر فأكثر. وهذه الخطوة تعد تحولا ويمكن تسميتها ب'التحول في الفلسفة'. كما قام 'كنت' نفسه بتحول الفلسفة من خلال قلب نظرية المعرفة التقليدية التي سميت بالثورة الكوبرنيكية (عەزيز، ٢٠١٩، ص ٤٣). فدلالات العودة تعبر عن أزمة الفسلفة ومشكلاتها في السياق الزمني؛ فالمشاكل والأنتقادات التي وجهت لفلسفة 'كنت' سواء كانت ايجابية أم سلبية، تثبت تأثير فلسفته وفعاليتها. والتفسير والتحليل الجديد لفلسفته، يكون بديلا وذلک من خلال غربلة فلسفته وإختيار بعضها وترک الآخر.

فالذين كان لهم موقفا سلبي تجاه 'كنت' مثل 'فيشته، ياكوبي، شلاياماخر، هيغل، شوبنهاور و'شيلنغ' أجزموا بتخطي فلسفته. لأنهم، رأوا أن 'كنت' سقط في مأزق ثنائية (Dualism) الموضوع والذات. وهذه النقطة، تسجل عليه وتسمى بأزمة ميتافيزيک 'كنت'. حيث إدعى 'كنت' أن المعرفة لايمكن الوصول اليها. أي أن حظ الوصول الى معرفة حقيقة 'الشيء في ذاته' يعادل الصفر. وهذه الأزمة التي أثارها 'كنت' لاتشمل محدودية المعرفة فقط، بل تشمل نوع المعرفة البشرية جميعا (كەمال، ٢٠١٧، ٣٢٥). وفي النتيجة، إدعى كنت على خطى 'هيوم' قصور القدرة المعرفية لدى البشر.

ولكون 'كنت' لم يحسم أمر فمكانية معرفة الشيء في ذاته، فإن الأنسان يفقد الأساس الميتافيزيكي للعالم- نومينا- ويقع في الأغتراب الوجودي (كەمال، ٢٠١٧، ص ٣٢٥). ومادام، الأنسان ليست لديه المعرفة المطلوبة للعالم حوله، فقد يقع في مشكلة عدم الأحساس أو عدم الوعي الذاتي. وهذا يؤدي الى اليأس الوجودي واللامعنى-نهيليزم- الذي واجه الفلاسفة بعد 'كنت'. الشعور ب'الغربة الوجودية' كان نتاج 'ثنائية' الظاهرة و'الشيء في ذاته' في النسق ال'كنتي'. ومن هذه الثنائية، التي لم يعالجها 'كنت' (حسب رأي هيغل) لايمكن للفلسفة أن تصل الى وحدة شاملة ذاتية (كەمال، ٢٠١٧، ص ٣٢٦).

طرح 'هيغل' بديلا للثنائية ال'كنتية' غير المحسومة التي هي المنهج الدياليكتيكي- الديناميكي المتواصل. لأن الديالكتيک، عبارة عن حركة ميكانيكية متواصلة تحرک المعرفة البشرية الى المطلق. من هنا، تصبح المعرفة شاملة تحيط بمواضع وبدون أي تحديدات. المعرفة عند هيغل مطلقة وكلية. من جانب آخر، الوعي المطلق عند هيغل يحل محل الشيء في ذاته ل'كنت' (كەمال، ٢٠١٧، ص ٣٢٨). إذن، الأتجاه الذي إنتقد 'كنت' حاول تجاوز الثغرات في فلسفته وحل مشاكلها أيضا. لكن، المحاولة باءت بالفشل في النتيجة. لأن 'الفلسفة المثالية' لم تسطع مقاومة التحولات والتطورات التي حصلت في العلوم الطبيعية. لكن، رغم هذا أن مؤرخي الفلسفة يؤكدون بأن ليس هناک مذهب أو مدرسة فلسفية في الفلسفة الحديثة لم يتأثر بفسلفة 'كنت' ولم تنهل منها (عەزيز، ٢٠١٩، ص ١٤).

3. ظهور الكنتية الجديدة وردود فعل مناوئي ومؤيدي هيغل

يعد 'أوتو ليبمان' مؤسس ل'كنتية الجديدة'، وهو الذي إستخدم شعار العودة الى 'كنت' (Beiser, 2014, p. 283). حاول البعض، إظهار الدافع السياسي ل'ليبمان' وراء دعوته (Beiser, 2014, 283). لأنه كان مقتنعا أن 'كنت' الكل ونهاية كل الفلسفة، وأهم مفكر في الأنسانية المسيحية (Beiser, 2014, p. 283). ولذا حاول إثبات هذه النظرة بطريقة بلاغية في كتابه المشهور 'كنت ومتابعيه Kant und die') Epigonen) ومقلديه. لكن، السياق الثقافي أو الروحي ل'كنتية الجديدة' هو سياق معقد (Hems, 2015, p. 319). لأنه لايعود الى عامل واحد.

ولكن، ماذا نعني ب'الكنتية الجديدة'؟ فحسب رأي 'بايزر' هناک أخطاء شائعة من جانب العامة والخاصة ک 'كارل لوفيت ' و'رورتي' عن ماهية حركة الكنتية الجديدة (Beiser, 2014, p. 9). لذا يعرفها هو من منظور تأريخي وبأنها: 'حركة في القرن التاسع العشر في المانيا لرد الإعتبار لفلسفة "كنت". فقد كانت هذه الحركة مهيمنة على

السير الفلسفي في ألمانيا أواخر القرن التاسع العشر. لكنها سرعان ما إنتشرت تأثيراتها في كل من ايطاليا، فرنسا، انكلترا وروسيا. لذا تمد العصر الذهبي للحركة من عام (١٨٦٠-١٩١٤)' (Beiser, 2014, p. 1).

لكن، التشكل الفعلي للحركة يعود الى عام (١٨٦٠) وبعده (Beiser, 2014, p.2) لأن هناك دوافع ثقافية أدت الى ظهوره مثل القومية الألمانية، والنزعة التأريخانية الألمانية التي دعت للعودة الى الجذور الأصلية. وهناك مبررات فلسفية كسقوط 'المثالية التأملية' المتمثلة في فلسفة هيغل، بعد النقد الذي أنقض ظهرها على يد فويرباخ والنزعة المادية (Beiser, 2014, p. 3). اذن، كانت هناك دعوة الى الإنشغال بنظرية المعرفة والعلوم، بسبب التقدم العلمي الذي شكل تحديا للفلاسفة. لذا، ليس المقصود بالعودة الى 'كنت' في الكنتية الجديدة، الوفاء المطلق لفكر 'كنت'. إنما المقصود كما وضحه 'هيرمان فون هيلمهولتس'؛ هو أن حل المشكلات الفلسفية التي وضعها كنت، يجب ان يأخذ في الحسبان التطورات الحديثة لعلوم مثل الفيزيولوجيا، علم النفس، الفيزيا، الرياضيات (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣٢).

3.1 النشأة التأريخية للكنتية الجديدة

لأول مرة إستخدم المفكر الهيغلي 'لودفيك ميشليت' في (١٨٦٢) اطروحات 'ادوارد زيلر' الذي استعمل مصطلح ال'كنتية الجديدة'. وبعده استخدم 'اوتو ليمان' في (١٨٦٥) هذا المفهوم للأشارة الى بعض مفكري الألمان (Kuhn, 2010). فالمصطلح يعبر عن حركة-موجة- فلسفية تحاول معالجة مسائل وصراعات فلسفية بين الأتجاه المثالي والمادي في نهايات القرن التاسع العشر. ويعتبر عن محاولة فلسفية جديدة تتسم بالعودة الى 'كنت' مرة أخرى. ومن أهداف الحركة هي اعادة الشهرة الأيجابية ل 'كنت'. لذا، عدت الحركة السائدة والغالبة في نهايات العشر الأخير للقرن التاسع العشر (Gjesdal, 2015, p.401). لكن، سرعان ما انقسمت هذه الحركة الى شقين: مدرسة ماربورك و مدرسة هايدلبيرك/فرايبورك (Beiser, 2014, p. 3) والذي يجلب النظر، هو أن هدف مدرسة ماربورك كان إزالة ثنائية الذات والموضوع، أو الأدراك والفهم. لكن، المدرسة الأخرى، إتجهت نحو تخطي 'كنت' من خلال العودة-الألتفاتة اليه بطريقة أخرى (كەمال، ٢٠١٧، ص ٣٤٠).

3.2 العوامل الرئيسية لظهورها

كانت الكنتية الجديدة بمثابة ردة فعل للأزمة التي عانى منها الفلسفة ومحاولة أخرى لأصلاحها بالتركيز على نظرية المعرفة (Hems, 2015, p. 319). وردا على المثالية الألمانية مابعد-كنت، أكدت ال'كنتية الجديدة' على أن الفلسفة لا تدرس الأشياء من حيث كونها موجودة، ولكن يجب أن تركز على صحة التفكير في الأشياء من حيث وجودها (Hems, 2015, p. 321). إذن، لايخفى على دارس الفلسفة وتأريخها، أن ظهور هذه الحركة لم تكن إعتباطيا، إنما كان استجابة لبعض عوامل ذاتية وموضوعية:

-قطيعة العلم مع الفلسفة هي نتيجة التطور السريع في العلوم. ومن جانب آخر، كانت هذه القطيعة دلالة على الأزمة داخل الفلسفة نفسها ولاسيما أن موروث المثالية الألمانية متمثل في(شلينغ، فيشته و هيغل) منذ القرن التاسع العشر.

-أسباب القطيعة الحاصلة بين هؤلاء الفلاسفة و'كنت'، لم تكن لبعد مسافة فلسفته عن العلم. إنما، القطيعة معه كانت بسبب نقد رواد المثالية له. فقد صرحوا بفقدان أملهم به، لذا يجب خلاص الفلسفة منه. ومن جراء هذا إنقطعت الفلسفة عن العلم وتطوراته.

في الأساس كانت المثالية الألمانية، ردة فعل نقدي لتجاوز هيمنة فلسفة 'كنت'. ولكون 'هيغل' حاول حل ثنائية 'كنت' (الأدراك والعقل)، حاول أيضا توسيع مدى المعرفة من خلال المفاهيم/المقولات (Categories) .(لأن المعرفة في المفاهيم محدودة وثابتة. لكن، المعرفة الديناميكية العقلية، تحاول تجاوز الحدود الثابتة من خلال الفهم/العقل المطلق. ومن هنا، حصل الفرق بين العلوم الطبيعية والعلوم الفلسفية التأملية الديناميكية. خلافا للفلسفة، أن العلوم الطبيعية تتسم بتقديم معرفة جزئية. لكن، المعرفة الفلسفية تدرك حقيقة الشيء والجوهر دون محدوديتها المعرفية (فاغنير، ٢٠١٩، ص ٢٨). من هنا، العلوم الخاصة عند هيغل ليس إلا علما فلسفيا مطلقا (فاغنير، ٢٠١٩، ص ٢٩).

كان نقد المثالية بمثابة إتاحة الأرضية المناسبة ل'كنتية الجديدة'. لأن إنغلاق الفلسفة على نفسها في ذلك العصر وصولها الى الطريق المسدود، حث بعض العلماء على نقد المثالية، مثل 'ليو فرويلار' الذي إدعى نهاية المثالية الألمانية وعدها إفلاسا كبيرا (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢٩).

بما أن القطيعة مع العلم في الفلسفة بدأت في القرن السابع العشر. لكن، المختصين تيقنوا أن الفلسفة لايمكن أن تنغلق على نفسها وتقطع أواصرها مع العلوم. إذ ليس بمقدورها تحديد الأهداف المطلوبة للعلوم بعد (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣٠).

ان القفز على هيغل والعودة الى 'كنت' كامن في حقيقة مؤكدة هي أن هيغل لم يهتم بالعلوم. إنما اكتفى بالأعتقاد ان العلم الوحيد هو الفلسفة. لذا، كما قال 'الوا ريهيل'؛ "ليس على الفلسفه ان تهيمن على العلم الطبيعى، بل ان تتعلم منه" (فاغنير، ٢٠١٩، ص ٣٠). لذا اكتفى هو بالعلم الفلسفي.

-إذن، أن آفاق النجاة والخروج من مأزق الفلسفة، يبدأ بنقد المثالية والعودة الى كنت. لأنه بحث عن مكانة العلوم بدون تصغير شأن العلوم الخاصة مقابل العلوم الطبيعية بسب طبيعة مبادئها (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣١). وهناك نقطة مشتركة بين رواد الكنتية الجديدة: هي الأهتمام التام بنظرية المعرفة وشروط إدراك المعرفة (فاغنير ب.، ٢٠١٩، ٣١). ولاشك أن هذه النظرة الفلسفية، نابعة من جذور الفلسفة الكنتية أصلا (فاغنير ، ٢٠١٩، ٣١).

كما أن العودة الى 'كنت'، ليست من باب الوفاء له (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣٢). وإنما، لسبب واضح هو اهتمامه بالعلم، إذ لم يحصر إهتماماته الفلسفية حول العلم في نطاق التأمل الفلسفي المجرد. بل، باشر في البحث عن الطبيعة من خلال كتابه "التأريخ الشامل للطبيعة ونظرية السماء" (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣١).

ساهم بعض العلماء والمفكرين في العودة الى 'كنت' وتحديث فلسفته أيضا. فاعتقد 'كازيرر' أن دور 'هيرمان كوهن' في تحديث فلسفة 'كنت' صائب، ويقول "كان نظام فلسفة 'كنت' لكوهن، يحمل جوابا مصيريا للفلسفة وبصورة عامة للسؤال الآتي: هل هناك علاقة بين الفلسفة والعلم؟"(Cassirer, 2006) . من هنا، كانت 'مدرسة ماربورك' مربوطة باسم كوهن وبعد ذلك أثرت في الأكاديمية الألمانية. فالأهمية التأريخية لل'كنتية الجديدة' كحركة هي تأثيرها في فلسفة العلم. لأن هذه الحركة المزودة بالمفاهيم العلمية، تصبح خلفية للتطور العلمي مثل النظرية النسبية وفلسفة'فريجه' (Patton, 2006).

وأخيرا، أن بوادر إنهيار المثالية وصرح الهيغلية بدأ من قبل تلميذه فويرباخ أصلا. لذا قال 'باكونين': هناك عملاقان عظيمان، هما فيورباخ تلميذ وهادم 'هيغل' و'كونت' المؤسس للفلسفة الوضعية في فرنسا (باكونين، ٢٠٢٠، ص ٩٦).

لقد كانت، العودة الى 'كنت' بمثابة فشل المثالية والقطيعة مع الفلسفة الهيجيلة المسيطرة والتي طرحت نفسها كبديل لامنافس لها ل'كنت'. فالثقة المطلقة بفلسفة هيغل، كانت نابعة عن التصور المطلق لفلسفة هيغل. فهو بدوره أعلن في احدى محاضراته، أن نهاية الفلسفة، تبدأ بأنتهاء محاضرته! أي أن البحث الفلسفي يبلغ ذروته، بمحاضرته! لكن، الذي يلفت النظر هنا، أن نهاية محاضرة هيغل ادت الى بداية جديدة: صعود 'كنت' الى السطح وأفول فلسفته في الوقت نفسه! لأن الكنتية الجديدة خير مؤشر العودة كبداية أخرى وجديدة للتفلسف والبحث الفلسفي. ولأن الكنتية الجديدة طرحت نفسها كبديل لكلتا المدرستين: المدرسة الميتافيزيكية التأملية والمدرسة المادية أيضا (Beiser, 2014, p. 7). علما أن الرد على الفلسفة المادية أيضا كان أحد مهمات هذه الحركة (Beiser, 2014, p. 311).

اذن، ورغم سحر فلسفة هيغل المهيمنة عل الفلسفة المثالية الألمانية، وقف بعض الفلاسفة ضدها وإنتقدوها بشدة الى حد إبعادها عن ساحة الأهتمام الفلسفي. وتجدر الأشارة اليه، أن نقد اطروحات هيغل لم يرد بعد موته فقط، إنما ورد أيضا عندما كان هيغل نفسه على قيد الحياة، اذ ألف 'كارل باخمان' كتابا 'ضد هيغل' كمشروع نقدي حينئذ (Wartofsky, 1982). وبعد ذلك قام كل من فويرباخ وماركس وكيركغورد و شوبنهاور ونيتشه وصولا الى هايدغر وفوكو بأنتقاده. فأصبح نقد فلسفة هيغل نمطا فكريا يؤشر الى التجديد والخروج من هيمنة عصر اتسمت ب"الهيغلية".

وليس ببعيد أن يكون السؤال الذي أثاره 'ريجارد كورنر' حول أهمية فلسفة 'كنت'، جدير بالذكر هنا: إذ "ظهر نقد العقل الخالص في 1781وبعد ما يقرب من عشرين عامًا، تم نسيان 'كنت' كليًا وعلى الرغم من أنها نشأت من عمل 'كنت' المهم، فقد جاءت بنتائج غريبة للغاية. كيف يمكن أن يحدث هذا في مثل هذا الوقت القصير؟ وكيف يمكن للثورة الفلسفية التي صنعت حقبة أحدثها 'كنت'، أن تأخذ مثل هذا المنعطف الغريب؟ وكيف يمكن تحريف المبادئ الأساسية إلى درجة يتم إنكارها على وجه أكمل في نهاية المطاف؟"(Kroner, 1948) .

لكن، أصيبت مكانة هيغل بالمصير نفسه أيضا وهذا ماأشار اليه 'ميشل فوكو' في إحدى محاضراته في سبعينيات القرن الماضي حين بين دور 'هيبوليت' في ترجمة هيغل للفرنسية: " إن جزءًا كبيرًا من مديونيتي يعود إلى 'جان هيبوليت'. اذ أعلم أن دوره فيما يخص الكثيرين يرتبط بأعمال هيغل. وأن عصرنا سواء من خلال المنطق أو نظرية المعرفة، أو سواء من خلال ماركس أو من خلال نيتشه، يحاول الفرار من -هيمنة- هيجل: وماكنت أحاول قوله سابقًا فيما يتعلق ب'الخطاب' اذ 'هيبوليت' كان خائفًا جدًا لهيغل" (Foucault, 1972, p. 235). ما يقصده فوكو، ان الهروب من هيغل في الوقت نفسه ينطوي على معرفة هيغل ولكن على نحو ماكر. لأنه يتضمن أولا، مدى قرب الفلاسفة منه. ولأن هذا القرب يسمح لهم التفكير فقط ضد هيغل ومايبقى هيغلية أيضا. ويتضمن ثانيا، تقديرًا دقيقًا للثمن الذي يتعين على الفلاسفة دفعه لكي ينفصلوا عن هيغل. ولابد أن يحددوا مدى ان تكون معاداتهم للهيجلية، إحدى الحيل الموجهة ضدهم. وفي محاضرة أخرى قدمه فوكو عام 1967 في تونس قال؛ "كل التفكير الفلسفي اليوم هو حوار مع هيجل، وخلق تاريخ فلسفة هيجل هو ممارسة الفلسفة الحديثة" (Eribon, 1991, p. 189). ربما هذا دليل يشرح لماذا هناك إهتمام بهيغل من جديد.

4. الأهتمام ب'هيغل' والعودة إليه

يلاحظ في الآونة الأخيرة، أن هناك إهتماما ونوعا من 'خطاب العودة' الى هيغل لدى الدارسين والباحثين في الأكاديمية الغربية وفي "العالم الشرقي" هناك اهتمام بالغ بفلسفة هيغل أيضا. واذا نظرنا الى السياق الثقافي/السياسي يتبين دوافع هذه العودة. وربما من قبيل الصدفة، أن قبل مئة عام كان هناك نقاش حول مكانة العلم ودور الفلسفة علميا ولاسيما في فلسفة 'كنت'. ودعا البعض الى الأهتمام بالعلم والعودة اليه، نظرا لأنه كان قريبا من العلم ومهتم به. وحصيلة هذه الدعوة هي، ظهور الكنتية الجديدة على الساحة، اذ أدت بشكل آخر الى انبثاق الفلسفة التحليلية المتمثلة في حلقة فيينا. لكن هناك جدل للعودة الى 'كنت' وهيغل.

4.1 جدل العودة بين هابرماس و تايلر

في مقال ل'هابرماس' إشتهر بعنوان 'من "كنت" الى هيغل والعودة مجددا' (١٩٩٩) حاول هابرماس إظهار التحول من 'كنت' الى هيغل والعودة اليه مجددا. يرى هابرماس ان هيغل مقتنع بخطأ موقف 'كنت' تجاه الأسئلة الأبستمولوجية القديمة، إذ حاول مجابهتها برد 'ثنائية' ولكن من منطلق عقلي بحت فقط (Habermas, 1999). لذا كان التحول من 'كنت' الى 'هيغل' حصل عبر نزع الفلسفة المتعالية وتحديد موقعها في التأريخ واللغة (Habermas, 1999). حاول هيغل، حل مشاكل 'كنت'، لأن 'كنت' حل مشكلة المعرفة في داخل العقل فقط، لكن هيغل حلتها من خلال التأريخ. ولكن، أيضا وقع في نوع من تجريدات ميتافيزيكية. وإن كان هيغل حاول تجسيد العقل في المؤسسة -الدولة- داخل التأريخ.

وفي المقابل، قام 'تايلر' بتقييم بحث هابرماس وأقر أن هابرماس قام بطريقة مقنعة أظهار دور هيغل في تفكيك الصورة المعرفية (Taylor, 1999) . وحسب تفسير 'تايلر'، سمى هابرماس هذه الصورة المعرفية ب"الأبستمولوجية العقلية) Mentalist Epistemology (لكونها تتضمن:

1. أن المعرفة تكمن قبل كل شيء في عقل الفرد.
2. أن المعرفة تقوم دائمًا بدور الوسيط؛ وفي الفهم التقليدي فأنا على معرفة بالعالم الخارجي، من خلال التمثلات التي تحدث في العقل.
3. يمكننا معرفة هذا الوسيط عندما لا يمكننا تحقيقه على الفور فيما يتعلق بالواقع الخارجي (Taylor, 1999).

من هنا، كانت محاولة نقد الأبستمولوجيا العقلية ودور هيغل في تجاوز مشاكل وأخطاء 'كنت'، دافعا لتخطي 'كنت'. لكن، ومع أن هيغل حاول رؤية الأمور من خلال التطور والديناميكية التأريخية والتجسيد الواقعي للروح/الوعي داخل مؤسسة الدولة، فهذا التطور قد فسر في صياغات وتجريدات ميتافيزيكة غير محددة أيضا. لذا، العودة الى 'كنت' عند هابرماس، لابد أن يكون عبر هيغل من جديد.

وهنا تجدر اشارة خاطفة الى نقطة أخرى، هي أن المحاولات العودة الى فلسفة هيغل والأهتمام بها، لم تعد من الهيغليين فقط، بل ظهرت من قبل رواد الفلسفة التحليلية المعاصرة وفي العالم الشرقي أيضا. ومع أهمية هذا الجانب، لايتسع لنا الخوض في تفاصيل الأهتمام بفلسفة هيغل في العالم الأسلامي/الشرقي أكثر من 'كنت' مثلا. هل، السبب يعود لكون هيغل أهتم بالعالم الشرقي في محاضراته حول التأريخ وذكر الدين والمعطيات الثقافية للعالم الشرقي؟ أو أن الأهتمام بهيغل يعبر عن موجة الحركات الماركسية التي سوغت فلسفة هيغل في مناهجها الأيدولوجية؟

لاشك، ان إهتمام هيغل بالعالم الشرقي وديناناته، برز في محاضراته عن تأريخ الشرق (رشيدة، ٢٠١٢، ص ١٢). وعلما أن مفكري 'العالم الشرقي' إهتموا بدورهم أيضا

بأفكاره ووجدوا فيها مصدرا للألهام والتفكير. حتى أصبحت موضة فكرية وأيدولوجية عند اليساروالييمين(الأسلامي). فالدافع، يمكن في إشكالية الهوية الحضارية، مقابل هيمنة حضارة الغير وإيجاد سبل التغير والتحرر منه.

4.2 الفلسفة التحليلية المعاصرة والأهتمام بهيغل من جديد

من العلامات الفارقة لمدرسة المنطق التجريبي في الفلسفة التحليلية، هي تركيزها التام على العلم. لذا طرحت مفهوم علمي للعالم في صورتين: الأولى؛ قدمت مفهوما للعالم مبنيا على المعلومة العلمية. الثانية؛ مبنية على قرب الفلسفة من الضوابط العلمية الأصيلة (Uebel, 2007, 4). وفي الآونة الأخيرة، دعا فلاسفة منتمين الى 'الفلسفة الحليلية' الى العودة ل'هيغل' ولاسيما من الرعيل الجديد دون الأول (كارناب و آخرون). حيث قاموا بتفسيرات جديدة لهيغل. ومع ذلك، يمكن القول أن هذه النزعة كانت لها إنتقادات للنمط الفلسفي التأملي الميتافيزيكى والمثالي وعلى رأسهم هيغل.

والمفارقة الأخرى هنا، أن 'فلاسفة الأتجاه التحليلي' إنتقدوا المثالية الألمانية بشدة، لطابعها المجرد والميتافيزيكي. وإنتقدوا اللغة غير الواضحة المعالم المستخدمة فيها. لكونها لغة تتسم بالتأمل الذاتي الفردي المجرد دون الموضوعي في تعابير غير مفهومة وخالية من الدلالة المحددة. ومن المنتمين الى الفلسفة التحليلية، هناك من يقوم بتفسير آخر لهيغل وموقعه في الأهتمام باللغة. كيساريون مثل جيجك و فلاسفة محسوبون على الفلسفة التحليلية ك'روبرت براندم' و'روبرت بايبين'الخ... ف'روبرت براندم' هو من الباحثين في الأتجاه التحليلي، اصدر كتابا عن هيغل في الآونة الأخيرة. وحاول تقديم قراءة جديدة لهيغل من منظور الفلسفة التحليلية. كانت نقطة انطلاق براندوم في بحث تحت عنوان 'بعض الأفكار الهيغلية جديرة بانتباه الفلسفة التحليلية المعاصرة' (Brandom, 2014). ولكن قبل براندم، نشر الباحث 'باول ريدنج' اطروحة حول هيغل (Redding, 2007). والسوال هنا؛ مالجديد في كتاب براندم ولماذا هذه اللفتة الى هيغل، ومن باحث لاينتمي الى الفلسفة المثالية أصلا؟

فالدافع الأيدولوجي/السياسي له دور في الأهتمام بأي نص وتفسيره. لذا، لايستبعد ان نداء العودة الى هيغل وتقديم تفسير جديد له، يدل على مؤشر سياسي ضمن سياق تأريخي وثقافي معين. الغريب هنا ليس لأنه ليس لكون الفيلسوف له حق البحث والتحليل، بل إختيار 'هيغل' بالذات تثير الدهشة والتساؤل. لأنه "على الأغلب من اعقد الفلاسفة، لكون نصوصه يمنع التوغل والفهم الواضح (Leezenberg, 2020). لذا، الأهتمام به، رهين الأوضاع السياسية، كما كان مثلافي الأتحاد السوفيتى السابق، حيث انصب الأهتمام به على المادية الديالكتيكة. وفي فرنسا الثلاثينات، إزدهر اسم هيغل بواسطة 'الكساندر كوجيف' على خلاف أنكتلرا حيث كان فلسفة هيغل يعتبر 'وهما' ميتافيزيكيا. وعلى المنوال نفسه انتقد 'حلقة فينا'-الفلسفة التحليلية- واعتبروه فلسفة خالية من معنى (Leezenberg, 2020).

لكن، سقوط جدار برلين إزدهر اسم هيغل من جديد كفيلسوف ليبرالي على يد 'فرانسيس فوكوياما' ومن بعده 'روبرت براندم' (Leezenberg, 2020). اذ قام الأخير في مقال سنة (١٩٩٩) بتفسير غير ميتافيزيكي لكتاب 'فينومينولجيا الروح' واتبع فكرة فتغنشتاين القائلة 'أن استخدام المفاهيم، يحدد المحتوى-المعنى'. بتعبير آخر، ان أفق فهم وتفسير نص هيغل، يكون وفق الواقع الاجتماعي والسياسي. لأن، كل الدساتير-المفاهيم- المتعالية-المتسامية، ليست إلا مؤسسة إجتماعية تجسد في السياق التأريخي، الظروف الأجتماعية المؤطرة، بغض النظر عن كون النص في نفسه مجردا وميتافيزيكيا. ولأن اللغة كائنا إجتماعيا، حتى وأن تطرقت الى مجردات الميتافيزيكية غير المحسوسة، فأنها تعكس الظروف الأجتماعية في نفسها. إذن، العودة الى هيغل، بمثابة تجاوز 'كنت' ولاسيما أن دور 'اللغة'في ديالكتيك هيغل بمثابة أداة الأعتراف المتبادل. ولأن اللغة لها دور اجتماعي، يجسد العملية الديالكتية بظهورها وتجلياتها. من هنا، نجد أن التفسير التحليلي ل'براندم' يؤكد على الفلسفة الاجتماعية ونظرية النقد والعامل السياسي من خلال نص هيغل.

5. 'كنت' ومحاولة جعل الميتافيزيك علما

بناءا على ماتقدم، يمكن ان نسأل ماذا تعني العودة الى 'كنت' وبأي معنى؟ يرى 'جورج ستوكس' انه 'ليس كافيا أن نلح على العودة الى 'كنت'، فقط من أجل الضرورة. بل لابد أن يأخذ المرء الطريقة وكيفية الرجوع بالحسبان. لأن هناك طرقا مختلفة للعودة (Stokes, 1884). إذن، الهدف واضح تماما ولكن الطريق اليه يختلف. إذن، العلم كركيزة أساسية لنداء العودة.

يمكن لكل دارس تأريخ الفلسفة، ان يعثر على أدلة كافية أن 'كنت' من الفلاسفة الذين دعوا الى العلم والمعرفة والأهتمام بها. فخصص بعض كتبه للبحث عن المسائل العلمية وهتم بالتطور العلمي مثل 'نيوتن' خلافا لهيغل. وأنه كان من أوائل الفلاسفة الذين تنبهوا الى جمود الفلسفة/ الميتافيزيك بشكل خاص، مقارنة بالتطور الكبير الذي شهده العلوم الدقيقة في عصره. لذا، أثار مسألة عدم تطور الميتافيزيك في كتبه وطرح سؤالا مهما وهو: لماذا لم يتطور الميتافيزيك مقارنة بالعلوم الأخرى؟

ومن خلال هذا السؤال، حاول 'كنت' تحويل الميتافيزيك الى علم. لأن المشكلة الرئيسية للميتافيزيك، خلوه من المنهجية العلمية المطلوبة التي تؤدي الى تطوره كسائر العلوم الأخرى. وهناك مشكلة أخرى أدت الى تخلف الميتافيزيك وهما؛ أن مفاهيمه ومقولاته المجردة غير مفيدة للبحث عن العالم الحسي. لأن المقولات التي توصف العالم الظاهري لاينطبق عليه بتاتا. واذا حاولنا تطبيق المفاهيم والمقولات الميتافيزيكيه لبحث أمور العالم الحسي، فلاتبقى ميتافيزيكا. من هنا، نرى ان 'كنت' كان على دراية من الأزمة الحقيقية للميتافيزك مع أنه حاول إيجاد مخرج له. لذا، رأى ان آفاق بقاء الفلسفة هو مواكبة التطورات العلمية في عصره.

وحسب رأي 'ريجاردسن'، أن محاولة 'كنت' لتحويل الميتافيزيك الى 'علم'، كان نابعا عن نقد وظن بالميتافيزيك التقليدي بخلاف ميتافيزيك هيغل الذي لايتطرق الى العلم (Alan Richardson, 1997). ولما كانت الفلسفة النقدية(كنت)، ليست إلا نظرية المعرفة، فالفلسفة الترانسيندينتالية-المتسامية- سميت بترانسيندنيتال لكونها تمتحن شروط المعرفة عموما. وتعني مايسبق التجربة وما يجعلها ممكنة. وتدور حول التجربة، الظاهرة والميتافيزيك أيضا (Rockmore, 1993, p. 9).

اذا، تبدأ مسألة "علمنة" الفلسفة بسؤال 'كنت' فى كتابه ب"رولوغيميا لميتافيزيك المستقبل" وهو: 'هل يمكن للميتافيزيك أن يكون علما'؟ (Kant, 1977, 1). كما طرح سؤالا 'افيناريوس'(Avenarius) كيف يمكن للفلسفة أن تكون علما أو يمكن للفلسفة أن تكون؟ فالفلسفة لها دور لكونها منهجا للعلم، في رأيه (Alan Richardson, 1997). وعلى المنوال نفسه، سئل هوسرل هل الفلسفة بمثابة علم دقيق ممكن؟ (Husserl, 1965). العلم عند هوسرل، مخالف النظرة الفلسفية التقليدة، العلم 'لاشخصي' وتعاوني وليس حكمة ترانسيندتالية، إنما هو موهبة نظرية (Husserl, 1965, p. 149).

5.1 تأريخ العلاقة الوشيجة بين العلم والفلسفة

لاشك هناك تزامن تأريخي بين الفلاسفة والعلم، فقد إهتم كثير من الفلاسفة بالعلم، في العصر الحديث ومنهم 'فرنسيس بيكن' الذي حاول من خلال تشخيص 'الأخطاء الفكرية idols شق الطريق الى العلم، وكذلك 'ارنست ماخ' و'رايشنباخ' و'رسل' وكارل بوبر' وكارناب' والخ (Boas, 1951). وهنا يمكننا أن نسأل؛ فهل ساهم العلماء في تطور العلم أم الفلاسفة؟ وهل كانت مساهمتهم، ضمن التفكير العلمي نظريا أو كانت عمليا؟

أن تأريخ الفلسفة لاتساوي تأريخ العلم بالشكل المطلق. ولكن، بغض النظر عن هذا، بأن الفلاسفة القدماء، أسهموا قبل سقراط الى العصور الوسطى بأفكارهم في السير العلمي من خلال طرح أسئلة وجهت التفكير العلمي. تاريخيا، ولقرون عديدة كان علم الطبيعة فلسفة الطبيعة، لعدم وجود تميز بين الأثنين. وفي العصور الحديثة المبكرة، تم تميز علم الطبيعة عن الفلسفة. لكن في الأوساط الأكاديمية، فأصبح الرأي المسيطر الذي هو 'فلسفة الطبيعة' مشروعا لامعنى له وأن كل مايمكن أن يفعله العقل فيما يتعلق بالطبيعة، هو الإنخراط في فلسفة العلم. ويعكس ذلك منهجية التحقيقات التجريبية للكون والطبيعة. وهذا الإستبدال لفلسفة العلم، بفلسفة الطبيعة يرتكز على إفتراض أنه عندما يتعلق الأمر بمعرفة الأشياء المحددة، يكون العقل عاجزًا تمامًا ويجب بدلاً من ذلك تسليم كل الجهود لمعرفة موضوع معين للعلوم الموجهة بالملاحظة. ومعرفة الطبيعة غير ممكنة عن طريق العقل وكل ما تستطيع الفلسفة فعله هو التفكير في عمليات العلم التجريبي (Winfield, 2010, p. 1).

لكن، هل كان الأهتمام بالعلم ضمن الأسئلة الفلسفية من الدرجة الأولى أو الثانية؟ وما المقصود من العلم أصلا؟ اذا كانت الفلسفة، تقدم تفسيرا وتحليلا للعالم وليس اكتشافه عن طريق التجربة المباشرة. ولابد ان نتساءل: هل الفلسفة العلمية،"علمي" بالمعنى المتداول لدى علماء العلوم التجريبية؟ أو كان لفظ 'العلم' فقط من منظور فلسفي يجدر تسمية الأهتمام به، بالتفكير الفلسفي حول العلم؟ ومن الناحية التأريخية، أثارت الفلسفة أسئلة علمية في بداياتها كما نرى عند فلاسفة الطبيعة في اليونان، وبعد تطور التفكير الفلسفي والعلمي في العصور المتأخرة افترق العلم واستقل عن الأسئلة ذات الطابع الفلسفي في مجال تخصصي بحت. لأن الفلسفة كانت بمثابة تفسير للعالم، لكن العلم يشتغل مباشرة بأدوات تجريبية بالعالم وكشف الأمور العينية. وهذا لاينافي حقيقة أخرى هي، أن التفكير والسؤال الفلسفي على مدار القرون أسهم بطريقة أو أخرى في تطوير التفكير العلمي وإن كانت الأطروحات الفلسية خاطئة في شأن الكون والطبيعة. لكن ذلك ساهم مباشرة بقيام علماء متخصصين بتصحيح الأخطاء واكتشافات علمية متطورة.

يمكن القول، ان الفلاسفة في العصر الحديث لم يسهموا مباشرة في العلم كمجال مستقل بذاته، وإنما ساند بعضهم التفكير العلمي(المعرفة) كفلاسفة الفلسفة الوضعية. لأن العلم في العصر الحديث مثل'الفيزياء' شق طريقه باستقلاليته من قبل علماء ك'نيوتن'. ففي العصر الحديث لم يؤثر الفلاسفة بشكل مباشر على العلم، وإنما كان أسئلتهم منصبة على حقل المعرفة وأصولها وطرق الوصول اليها. فمثلا الجدل الحاد بين التجريبين والمثاليين كان حول المعرفة وعلاقتها بالعالم. فأسئلتهم ركزت على أمور خارجة عن العلوم التجريبية. ومن هنا، يمكن القول أن العلم كمجال مستقل من حيث المنهجية والأدوات وكيفية تناول المواضوعات، ليست له علاقة مباشرة بالفلسفة (وليست بالضرورة أن تكون الفلسفة ضد العلم). فمصادر الأسئلة العلمية ليست الأسئلة الفلسفية البحتة نفسها.

لذا، كانت ردود فعل بعض الفلاسفة في القرن العشرين هي كيفية تحويل الفلسفة الى علم، مثل 'ريجاردسن' في بحثه عن الفلسفة كعلم. وحاول البعض بالأستفادة من الأدوات العلمية من الناحية الشكلية والدروس المنهيجية لأنشتاين وتطبيقها على الفلسفة (Richardson, 2002). يرى 'ريجاردسن'، أن تأريخ فلسفة العلم في القرن العشرين تمدد من جانب الى دور 'ارنست ماخ' و'أنشتاين'، ومن جانب آخر الى 'فريجه' و'رسل' (Richardson, 2002). فهناك فرق بين علم الفلسفة العلمية والعلم لدى هيغل (Richardson, 1997). وعلى الرغم من، أن هيغل نادى بأمكانية الفلسفة ان يكون علما. لكن مفهوم العلم ليس بالمعنى المطلوب للكلمة. فهذه التأثيرات تطورت الى بروز اتجاهات فلسفية كاتجاه المنطق التجريبي وبناء مفهوم علمي للعالم. لكن، هذا الأتجاه ان صحى تسميته ليس بمذهب أو مدرسة معينة، إنما هو موقف وسلوك تجاه دور الفلسفة والعلم في الحياة العلمية والفكرية (Richardson, 2002). فالفهم العلمي للعالم يعني؛ محاولة لبناء نظرة كونية شاملة وعلمية تجاه العالم والكون. علما، أن النظرة العلمية للكون ليست بمعنى رؤية أو الصورة المتداولة في الفلسفة المثالية التي سميت ب'الرؤية الكونية (Weltanschauung) أو 'النظرية الكونية' (Weltauffasung) وفق رأي 'ريجاردسن' (Richardson, 2002). إن جذور هذا التحول تجاه العلم والفلسفة والكون، ترجع في الوقت نفسه الى 'كنت'. ولاشك ان 'كنت' في برولوغومينا-ميتافيزيك المستقبل، لم يسأل فقط عن إمكانية جعل الميتافيزيك علما، بل طرح أيضا سؤالا هو: 'هل هناك إمكانية لعلم الطبيعة المجردة؟ هذا السؤال بدوره أثر في الفلاسفة وبتعبير 'رورتي' ؛ ان الفلسفة التحليلية هي نوع آخر من الفلسفة 'الكنتية'. ونوع من طراز التفكير في الإدراك كعمل لغوي وغير عقلي، وفلسفة اللغة بدلا من النقد الترانسدنتالي أو السايكولوجي هي كبنية للمعرفة وأساس لها (Rorty, 1979, p. 8).

فالتقرب من العلم وإجتناب الأفكار والمفاهيم الميتافيزيكة من سمة النظرة العلمية للعالم. لذا إعتقد كارناب(فيلسوف العلم و التحليلية)، أن كل اسئلة في الأبستمولوجيا، هي أسئلة التأكيد أو التبرير داخل نظام لغوي (Richardson, 2002). لذا نرى أيضا، تحولا من فلسفة المعرفة الى فلسفة العلم بشكل جذري (Richardson, 2002). ويعتقد 'هيرمان فون هلمهولتز' ان هيغل حاول توحيد الانسان -الروح- والعلوم الطبيعية. وحينئذ يجب وضع البرنامج المنهيجي والتوحيد المفاهيمي لديه جانبا لأجل التفريق بين 'العلوم -الأنسانية- الروحية' Geisteswissenschaften وعلوم الطبيعة (Patton , 2018).

وعلى الأرجح لم نجد فيلسوفا أكثر إحراجًا من هيغل لأنه يقرن علمًا أوليًا مع طريقة ديالكتيكية، يهدف به إلى إشتقاق بعض المفاهيم من بعضها، بطرق لاعلاقة لها بالخبرة أو بالعمليات المادية (Halper, 2008). واذا جازفنا بالقول، انهارت فلسفة/ نظام هيغل في الطبيعة تمامًا. لأن نظامه في الطبيعة، في الأقل فيما يخص الفلاسفة الطبيعي جنونًا. ولم يتم العثور على أي شخص يدافع عن أفكاره من بين جميع الرجال العلميين المتميزين الذين عاصروه (Helmholtz, 1995, p. 80).

لقد، اقتنع هيغل نفسه بأهمية الفوز لفلسفته في مجال العلوم الفيزيائية وحاول الحصول على الأعتراف نفسه الذي تم منحه بحرية كبيرة في مكان آخر. لذا، اندفع بشدة و"عدوانية" غير طبيعية ضد فلاسفة الطبيعة ولاسيما ضد نيوتن. ومن جراء هذا، اتهم الفلاسفة رجال العلم بالضيق ورد العلماء بأن الفلاسفة مجانين (Helmholtz, 1995, p. 80). وفي رأي 'هيبوليت'ان هيغل إعتقد أننا عن طريق التطور التأريخي يمكننا معرفة طبيعة الأنسان (Hyppolite, 1996, p. 42). وفي مقدمة كتابه

'فينومينولوجيا الروح'؛ يؤكد هيغل أن المعرفة العلمية يتطلب من الفرد أن يضع ذاته جانبا لأجل حياة 'الموضوع'(المبحوث) (Hyppolite, 1996, p. 40). أي ان الموضوعية تتطلب من الباحث، التركيز على الموضوع ذاته وليس على تأملاته الذاتية تجاهه.

ويرى 'هيبوليت' ان فلسفة هيغل تكملة لفلسفة القرن الثامن عشر ومدخل لباب فلسفة قرن التاسع عشر. لذا فهي حلقة وصل بين قرنين ومن ميزة فلسفته أنه ربط بين العقل والتأريخ الذى لم يسبق لغيره من الفلاسفة قبله. لأنه تأمل التأريخ، العقل في ديناميكيته وديالكتيه من منظور التقدم والتطور. وهذا ماغاب عن غيره للنظر في تقدم العقل وفق خيط منطقي ضمن تسلسل الأحداث وتعاقبها (Hyppolite, 1996, p. 20) فمثلا نظر 'كنت' الى العقل خارج الزمن والتسلسل التأريخي. لذا كان هيغل معنيا بتأريخ العقل وتجسيد الروح/الوعي فيه. لأن الفكر/العقل في النظرة الهيغلية ليس معادلا للوجود داخل العقل الفردي. إنما هو عمل ونتاج جمعي تأريخي ولغوي خارج العقل الفردي المنعزل المنغلق على نفسه. وهذا مايسميه هابرماس (externalist) خلافا لـ'كنت' الذي يوصفه هابرماس (Internalist/mentalist) .(وتصبح دلالة مفهوم التأريخ عند هيغل مقابل الروح مقابل الطبيعة والكلية التي تتجاوز الأختلافات الموضعية (ماركيوز، ٢٠٠٧، ص ٣٣).

وفي المقابل، استندت فلسفة 'كنت' إلى أسس العلوم الفيزيائية تمامًا نفسها، ويتضح ذلك في أعماله العلمية ولاسيمافي كتابه 'نشأة الكون' الذي إستند إلى قانون نيوتن للجاذبية. كان الهدف الوحيد لـ "الفلسفة النقدية" لـ'كنت' هو إختبار مصادر معرفتنا وسلطتها، وتحديد نطاق ومعيار محددين لأبحاث الفلسفة (Helmholtz, 1995, p. 79). لذا، يرى 'ستروسن' بعدما يقرب من مائتي عام، انه لم يتم استيعاب أفكار 'كنت' الرئيسية بصورة كاملة في التصورات الفلسفية (Strawson, 1966, 29). علما، ان 'كنت' ليس مفكرا عظيما فقط، بل له تأثير كبير يمتد الى قرنين من بعد موته ولم يتضاءل أبدا (Rockmore, 2006, p. 46). وحسب فيلسوف العلم 'شليك'(١٨٨٢-١٩٣٦) ان "مصير جميع المشاكل الفلسفية هو؛ أن بعض هذا المشاكل سوف تختفي عن طريق إثبات خطئها وسوء الفهم في لغتنا. والبعض الآخر منها، سوف يظهر أنها أسئلة علمية عادية ومتخفية. وهذه الملاحظة بحسب إعتقادي تحدد مصير الفلسفة برمتها" (Rorty, 1992, p. 51).

5.2 ما المقصود بالعلم؟

كما تبين، أن أهمية وجدارة الفلسفة وخصوبة أفكارها مرهونة بعلاقتها وتناولها لمواضيع علمية. أي أن العلم هو المؤشر الحاسم لبقاء وجدارة الفلسفة. لكن، ماذا نعني بالعلم وبأي معنى؟ يعتمد المعنى المتداول للكلمة، على أن 'العلم' يأتي:

1. بحالة 'الذات العارفة'من جهة كونها تمتلك معرفة معينة.
2. وبنشاطا تمارسه فرق البحث أو جماعة علمية ممارسة العلم.
3. وبنسق من 'الملفوظات'/جمل)statements(، صياغات تعتبر عن قضايا صادقة.
4. وبمنهاج بحث لانتاج المعرفة أو مجموعة من التخصصات المكونة التي تحدد العديد من المجالات المعرفية المختلفة (فاغنير ب.، ٢٠١٩، ص ١٣).
5. وبالحالة الوضعية للعلوم و نتائجها الأجتماعيةوالأخلاقية (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ١٦).

اذن، ان مفردة 'العلم' متعددة المدلول وأن هذه المدلولات كانت ولاتزال متداولة لدى فلاسفة نظرية العلم. ولكن، لماذا يتدخل-يتطفل- الفلاسفة في مجال العلم؟ ان كل ماياقشه الفلاسفة حول العلم من حيث الأسئلة ليس إلا تدخل سافر في حقل العلم نفسه. لأن مايعنيه الفلاسفة ومايرونه مهما، لايعد علما من منظور العلماء أو العلم نفسه. فهذا التدخل المباشر في شؤون العلم، لايقبله العلماء فمثلا 'ريجارد هاوكينس' يرى ان العلاقة بين الفلسفة والعلم لم يكن خاليا من تضاد وسوء التفاهم عبر التأريخ. فالتساؤل عن العلم وماهيته وغاياته "يتوقف على الشروط التاريخية أو الأجتماعية، أو السياسية أو الدينية التي لا يدركها العالم باعتباره عالما" (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ١٤).

ويرى 'فاغنير' ان هناك علاقتين بين الفيلسوف والعلم، علاقة ابستمولوجية وغير ابستمولوجية التي نراها عند كل من نيتشه وفتغنشتاين (فاغنير، ٢٠١٩، ص ١٤). لكن، الفلاسفة الذين لهم علاقة معرفية مع العلم يمددون تأريخ تلك العلاقة الى فلاسفة الطبيعة من يونان الى 'كنت' وبعده ال'كنتية الجديدة'. فطبيعة هذه العلاقة تأتي بمعنى 'خطاب حول العلم' لدى الفلاسفة (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ١٤). ولكن، نظرا للتأريخ، كانا العلم والفلسفة شيئا واحدا على مر العصور، من أرسطو الى القرن الثامن عشر وبحسب التقسيمات التي قامت بها 'ديديرو' حيث كانت مدلول 'الفلسفة' و'العلم' مترادفان (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ١٦). فكان تداول التعابير كالمعرفة والعلم في اللاتينية شيء واحد (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢١).

وهكذا كان معنى العلم مرادفا للفلسفة. فتعريف 'الفلسفة' عند الفلاسفة القدماء، هو الذى حدد ماهية العلاقة. كانت في العصر القديم مثلا كان هناك ثلاثة مواقف فلسفية تجاه العلوم: -استبعاد الرياضيات(وحتى الفيزياء و المنطق) من مجال الفلسفة. -أو مطابقة الفلسفة علم قيادة الحياة(نزوع رواقي) وإدراج الفيزياء ضمن الفلسفة. - ومطابقة مجالات العلم ومجالات الفلسفة - النزعتان الأفلاطونية والأرسطية- (فاغنير، ٢٠١٩، ص ٢٠).

وهذا، يدل على كيفية العلاقة، ولكن من جانب آخر يؤكد تطور معنى الفلسفة والعلم وتغييرها أيضا في مراحل تأريخية. فقد بدأ التميز بين العلم والفلسفة، ولم يعد لفظ العلم يدل على نمط المعرفة أو شكلها، بل صار يعني نسقا من المعارف (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢٤). وأصبح العلم مستقلا عن الفلسفة في أواسط القرن التاسع عشر (فاغنير، ٢٠١٩، ص ٢٤). وكان أحد الأسباب الذي ميز بين العلم والفلسفة وتأكد بشكل قوي خلال القرن التاسع عشر في المانيا، هو الهيمنة التي مارستها المثالية الألمانية طوال أكثر من ثلاثين سنة. ولاسيما بسبب دور هيغل المؤثر في هذا التحول الذي دعى الى معرفة كلية(الفلسفة) وإعتبر العلوم الطبيعية التي تقدمت في نظره معرفة جزئية. في حين أن المعرفة الفلسفية تدرك الشيء- في ذاته-. فالعلوم الأخرى، ليست سوى لحظات من العلم الفلسفي الكلي المطلق (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢٨). وفهذه النظرة "الدونية" لمكانة العلم، ادت بطريقة ما الى استقلاليته مع المعرفة الفلسفية.

وفي المقابل، قام بعض العلماء ك'غوس'(Gauss) عالم الكيمياء و'يوستوس ليبيغ'(Justus Liebig) بنقد المثالية وحتى الأستهزاء بها. فحصل ماسماه 'ليو فرويلار'(Leo Freuler) بأنهيار المثالية الألمانية قبل أن ينشأ في(١٨٥٠)... وعرفت الفلسفة بما يسمى "الحطة الكبيرة" (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢٩). لأن 'الفلسفة التأملية' المثالية أظهرت نوعا من الإزدراء للتجربة (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٢٩). من جراء الفجوة التي ظهرت بين العلم والفلسفة وتقدم علوم الطبيعة في قرن التاسع العشر، أصبح واضحا في نظر العديد من الفلاسفة أنه لم يعد بمقدور الفلسفة تجاهل العلوم. فليس لها أي سلطة كافية لفرض الحدود والغايات عليه (فاغنير ، ٢٠١٩،

ص ٣٠). وهذا دفع 'الوا ريهيل' الى القول: 'ليس على الفلسفة أن تهيمن على العلم الطبيعي، بل عليها أن تتعلم منه' (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣٠). علما، لقد كان 'ريهيل' من الفلاسفة الذين دعوا للعودة الى 'كنت'، لأنه لم يستخف بمكانة العلوم. لذا، فالمثالية لم تعد مقبولة. ولأن 'كنت' برهن في 'نقد العقل الخالص' أن ملكة المعرفة لاتسطيع تجاوز حدود التجربة (فاغنير ، ٢٠١٩، ص ٣١).

6. النتائج

لماذا العودة أو الإلتفات الى 'كنت' وترك فلسفة 'هيغل'؟ رغم أن الجواب عل هذا السؤال بقدر ما يكون فلسفيا، يشير الى السياق التأريخي والثقافي الذى نشأ فيها ضرورة العودة والألتفات الى فلسفة 'كنت' وتجاوز هيمنة الفلسفة الهيغلية. لاشك، أن واقع الفلسفة في آواخر القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين والملابسات والعوامل التأريخية أدت الى بروز نجم 'كنت' من جديد. كما أن التأثيرات الطارئة على العلم وفي مجال الفكر والحياة، دفعت الى حقيقة: أن بقاء الفلسفة إزاء التغيرات والتطورات الحديثة، مرهونة بتجديد نفسها منهجيا وموضوعيا. التطورات التي طرأت في العلوم التطبيقية البحتة، ملت تحديا كبيرا للفلسفة.

لذا، ان الأطروحات والتفسيرات المتباينة والمتضادة حول دور العلم والفلسفة في الحياة، تعكس الجانب الآخر لأهمية الدعوة للعودة الى 'كنت' أو هيغل ليس في نطاق الفلسفة الألمانية وحدها فقط، انما ضمن الفلسفة الحديثة برمتها. فأحد أبعاد العودة الى فلسفة 'كنت' وظهورها الجديد، هو أنه فتح آفاقا جديدة في تأريخ الفلسفة. وهذا يعود لكون فلسفة 'كنت' كانت مؤثرا وملهما لكثير من الفلاسفة اللاحقين بعده كهيغل و غيره من الآخرين. ومايسجل له أيضا، هو محاولته الرصينة لجعل الميتافيزيک علما وبحث في شروط المعرفة العلمية. فطريقة تناوله للمواضيع والمشاكل الفلسفية كان خارج التجريدات المطلقة، التي قد نجدها عند هيغل. كما، أن عامل التجديد والعودة اليه، يقع في العامل الداخلي الذاتي لفلسفة 'كنت' نفسه وليس العوامل الخارجية. فالعوامل الخارجية والموضوعية، تعد عوامل مساعدة وليست الجذرية للألتفات وحتى العودة اليها. فالبنية الداخلية القابلة للتجدد والبقاء في فلسفته، كان عاملا حاسما. ولولا هذا، لكانت العودة تعد عملية سطحية وعابرة. كما أن إحدى مدلولات العودة له، تعني أن 'كنت' كان مرجعا لايستغنى عنه. والمدلول الآخر، تدل على أنه لا يتجاوز. أي لايسبق عليه- بسهولة ولايصبح قديما بطريقة ما. وهنا يعود "الفضل" الى أفكار 'الكنتية الجديدة' ودعوتها للعودة الراديكالية-الجذرية الى 'كنت'.

ولكن، في المقابل هناک دعوة للعودة الى هيغل في سياقات ومراحل مختلفة أيضا. فخطاب العودة لايخص 'كنت' وحده، أنما هناک دوافع موضوعية وذاتية يحفز الباحثين للعودة اليها. فإحدى الدافع مثلا موقف كلا الفيلسوفين تجاه العلم وتبني النظرة العلمية في التفكير الفلسفي. مثلا الدافع الأيدولوجي، في العالم الشرقي دفع الى الأهتمام بهيغل. اذن فالدوافع، متغيرات ثقافية وسياسة تؤثر بطريقة أو آخر الى ظهور نجم هذا أو ذاک الفيلسوف. لاشک في ان 'كنت' وهيغل لهما أهمية خاصة وعامة في التفكير الفلسفي العام. ولكونهما مارسوا تأثيرا ملحوظا في الفكر العام، والثقافة العلمية والعقلية في عصرهما.

اذن، أن اهمية ومكانة فيلسوف ما، تتحدد بالظروف والسياق التأريخي والأنجازات العلمية والتأثيرات السوسيو-السياسية. فمن هنا، أن دعوة العودة الى 'كنت' لايقتصر عليه وحده، رغم جدارة وقدرة فلسفته. ولأن كلا الفيلسوفين، لهما دور بشكل متفاوت وبدرجة تقاربهما ودنوهما واحتضانهما للعلم، يتبين أهميتهما. كما تعود أيضا، الى مدى استجابة فلسفة أي منهما للتحديث وفق معطيات فلسفية وحضارية. وكما يعود الى دور الباحثين أيضا في كيفية شرح وتفسير فلستهما حسب العوامل المؤثرة وقابلية التجدد في فلستهما.

المصادر

بيير فاغنير. (٢٠١٩). الفلاسفة و العلم: تحرير بيير فاغنير. هيئة البحرين للثقافة و الآثار. ٢٠١٩. هيئة البحرين للثقافة و الآثار.

حنا ديب. (١٩٩٤). هيغل و فويرباخ. بيروت: دار امواج.

حەمید عەزیز. (٢٠٠٩). بنەڕەتەکانی فەلسەفە. ئەندێشە.

حەمید عەزیز. (٢٠١٩). بارگۆڕینی فەلسەفە'شیکردنەوەی لۆجیکیی'. سلێمانی: ناوەندی ڕۆشنبیری ڕەهەند.

محمدي رياحي رشيدة. (٢٠١٢). هيغل و الشرق. ابن النديم للنشرو التوزيع.

محەمەد کەمال. (٢٠١٧). فەلسەفەی کانت. سلێمانی: دەزگای سەردەم.

ميخايل باكونين. (٢٠٢٠). الاله و الدولة. قامشلي: منشورات نقش.

هيربرت ماركيوز. (٢٠٠٧). هيجل: أساس الفلسفة التاريخية. نظرية الوجود عند هيجل. التنوير.

Agassi, J. (2008). Science and Its History: A Reassessment of the Historiography. Springer.

Boas, G. (1951, Oct 17). American Philosophical Society. Retrieved from jstor: https://www.jstor.org/stable/3143237

Brandom, R. (2014). Some Hegelian Ideas of Note for Contemporary Analytic Philosophy. Hegel Bulletin, 1-15.

C.Beiser, F. (2014). The Genesis of Neo-Kantianism, 1796-1880. Oxford University Press.

Cassirer, E. (2006, August 31). Hermann Cohen and the Renewal of Kantian philosophy2. Retrieved from Taylor & Francis Online: https://www.tandfonline.com/doi/abs/10.1080/09697250500225768

Deligiorgi, K. (2019). Science Thought and Nature: Hegel's Completion of Kant's Idealism. Journal of the Italian Society for Analytic Philosophy, 19-46.

Eribon, D. (1991). Michel Foucault. Cambridge: Harvard University Press.

Foucault, M. (1972). The Archaeology of Knowledge & The Discourse on Language. New York: Pantheon.

Gjesdal, M. N. (2015). The Oxford Handbook of German Philosophy in The Nineteenth Century. Oxford University Press.

Habermas, J. (1999). From Kant to Hegel and Back again- The Move Towards Detranscendentalization. Europian Journal of Philosophy, 129-157.

Halper, E. C. (2008). Hegel’s Criticism of Newton. In F. C. Beiser, Hegel and Nineteenth-Century (pp. 311-343). Cambridge University Press.

Helmholtz, H. v. (1995). Science and Culture Popular and Philosophical Essays. The University of Chicago Press.

Rorty, R. (1992). The Linguistic Turn. Chicago University Press.
Sedgwick, S. (2010). Reason and History: Kant versus Hegel. American Philosophical Association, 45-59.
Stern, R. (1999). Going Beyond the Kantian Philosophy: On McDowell's Critique of Kant. Europian Journal of Philosophy, 247-269.
Stokes, G. J. (1884). Going Back to Kant. Mind, 274-281.
Strawson, P. (1966). The Bounds of Sence: Any Essay on Kant's "Critique of Pure Reason". London.
Taylor, C. (1999). Comment on Jurgen Habermas 'From Kant to Hegel and Back Again'. Europian Journal of Philosophy, 158-163.
Uebel, A. R. (2007). The Cambridge Companion to Logical Empiricism. Cambridge University Press.
Wartofsky, M. W. (1982)). Feuerbach. Cambridge University Press.
Winfield, R. D. (2010). Conceiving Nature after Aristoteles, Kant and Hegel. Palgrave Macmillan.
Wittgenstein, L. (1998). Tracatatus Logico-Philosophicus. Athenaeum-Polak& Van Gennep.

Abstract:
After the death of Hegel, philosophy (idealism) was affected by transformations and new questions that arose due to the development in science. One of the reasons philosophers were challenged was their attitudes toward science. Hence the call to return to 'Kant'. But if we ask here: What does return to 'Kant' mean? Did he become old or forgotten after his death, especially after Hegel's dominance of the philosophical space? Or that his philosophy was and still is one of the philosophical pillars, not only within the scope of German philosophy alone but within modern philosophy as a whole. Therefore, the research discusses the dimensions of the return to the philosophy of 'Kant' and its new appearance, which opened new horizons in the history of philosophy. 'Kant' has been influential and inspiring to many of Heglian's later philosophers. Note that one of the connotations of return means that 'you' was an indispensable reference. As for the other indication, it does not exceed. That is, it does not precede it easily and does not become obsolete in some way. On the other hand, there is a call to return to Hegel in different contexts and stages as well. Therefore, the return discourse does not concern 'I was alone, but there are objective and subjective motives that motivate researchers to return to them. One of the motives, for example, is the attitude of both philosophers towards science and the adoption of the scientific view in philosophical thinking.

Keywords: Return, Escape, Kent, Hegel, The Perspectives of Philosophy.

Hems, G. B. (2015). The Bloomsbury Companion to Kant. Bloomsbury Publishing Plc.
Husserl, E. (1965). Philosophy as Rigorous Science. New York: Harper& Row.
Hyppolite, J. (1996). Introduction to Hegel's Philosophy of History. University Press of Florida.
Kant, I. (1977). PROLEGOMENA to any Future Metaphysics. Hackett Publishing Company, Inc.
Kim, Y. (2020, Sep 29). Kant and Hegel in Physics. Center for Foundamental Physics College Park, Maryland, U.S.A.
Kroner, R. (1948, Jun.). The Year 1800 in the Development of German Idealism. The Year 1800 in the Development of German Idealism Author(s): Richard Kroner Source: The Review of Metaphysics, Jun. 1948, Vol. 1, No. 4 (Jun., 19 Philosophy Education Society Inc. Stable URL: https://www.jstor.org/stable/201, 1-31.
Kuhn, M. (2010). Interpreting Kant Correctly: On the Kant of the Neo-Kantians. In R. A. Luft, Neo-Kantianism in Contemporary Philosophy (pp. 113-131). Indiana University Press.
Leezenberg, M. (2020, juni-juli). Totalitaire walm of liberale geest? De politieke lezing van Hegel. Nederlandse Boekengids.
Nabolsy, Z. E. (2020). Hegel's proto-modernist Concept of Philosophy of Science. Problemata, 81-107.
Patton, L. (2006, Augst 31). The critical philosophy renewed: The bridge between Hermann cohen's early work on Kant and later philosophy of science. Retrieved from Semantic Sholar Org: https://www.tandfonline.com/doi/full/10.1080/09697250500225776
Patton, L. (2018, Winter 10). The Stanford Encyclopedia of Philosophy. Retrieved from Herman Von Helmholtz: https://plato.stanford.edu/entries/hermann-helmholtz/
Philosophy, T. a. (1997). Alan Richardson. Perspectives on Science, 418-451.
Redding, P. (2007). Analytic Philosophy and The Return of Hegelian Thought. Cambridge University Press.
Richardson, A. (2002). Philosophy as Science: The Modernist Agenda of Philosophy of Science, 1900-1950. In J. a.-P. P. Gardenfors, In the Scope of Logic: Methodology and Philosophy of Science (pp. vol. II, 621-639). Kluwer Academic Publishers.
Rockmore, T. (1993). Before and After Hegel, A Historical Introduction to Hegel's Thought. University of California Press.
Rockmore, T. (2006). In Kant's Wake: Philosophy in the Twetntieth Century. Blackwell Publishing.
Rorty, R. (1979). Philosophy of the Nature. Princeton University Press.